

لمحة عن الرينيسانس في أوروبا

علي سيريني

أصل البحث باللغة الانجليزية من ترجمة الكاتب نفسه.

ملاحظة مهمة. يعتمد كتاب العرب في تعريف فترة الرينيسانس الأوروبي على ترجمات غير دقيقة وغير أمينة في وصف هذه الفترة بالنهضة. مصطلح الرينيسانس الذي استعمله اول مرة جيورجيو فاساري باللغة الايطالية (رينيشيتا) لا يعنى النهضة على الاطلاق. ومن ثم فإن ترجمة الهيومانيزم بالإنساني والقول أن الإنسانى جاء للتعبير عن الدينى مقابل الدينى ليس قولاً خاطئاً فحسب بل وخيانة مقصودة لمبادئ العلم، يراد من خلف ذلك تمرير مفاهيم معينة لا أساس لها ضد دين معظم الناس في بلاد المشرق وتحديداً الإسلام. الهيومانيستيون كانوا متدينين ودينون بالولاء للمسيحية. والإصلاح البروتستانتى ليس سوى حركة أصولية سلفية كان هدفها العودة الى الأصول. لذلك فإننى استعمل مصطلح الهيومانيزم كما في اللغة الانجليزية (بالرغم من أن المصطلح الإنجليزي لا يعنى أومانياتس أو أومانيستا) وكذلك مصطلح الرينيسانس الذي يعنى (الولادة من جديد) كما هو ايضا في الانجليزية لأن المعنى العربى يوحى بالمبهم و بما يُظن في غير محله. أضفت على النص العربى اضافات تلائم السياق المراد إيصاله للقارئ العربى.



Petrarch

تشكل فترة، "عصر الرينيسانس"، أهم مرحلة في التاريخ الأوروبي. وتعتبر هذه الفترة من الزمن، نقطة انطلاق تغيير كبير في الخارطة السياسية والثقافية لأوروبا. بدأ عصر الرينيسانس في إيطاليا وخاصة في فلورنسا في القرن الرابع عشر. ليس هناك شك في أن القرن الخامس عشر هو بدايه تنويع عصر الرينيسانس بتشابكاته وتقاطعاته عبر ظروفه وعوامله. وتزامن صعود عصر الرينيسانس مع ظهور جانبين مهمين. الجانب الأول هو السلطة الجديدة التي

ظهرت في جمهوريات المدن في شمال ووسط إيطاليا والتي كانت تحكمها أسر متنافسة من التجار، المصرفيين والتجار البحارة. والجانب الثاني هو الثقافة الجديدة التي سميت بالهيومايزم التي تشكلت تدريجيا عبر مراحل. ثقافة الهيومايزم متداخلة مع تطور مجتمع الرينيسانس عبر علائق بالنظام السياسي الذي مر بمخاض عسير. وتزامنت هذه الجوانب مع مشاركة وتورط المؤسسة الدينية المسيحية الكاثوليكية وشؤونها الدينية والمدنية السلطوية مع قضايا البابوية وهيمنتها على السياسة. الرينيسانس باختصار تعني ولادة جديدة او الولادة من جديد. ويعني هذا أساسا إحياء الآثار الكلاسيكية للإمبراطورية الرومانية. تأثر الهيومايزم الديني بطريقة إحياء تراث العصور الكلاسيكية القديمة، وبدأ بمراجعة العلاقة مع المؤسسة الدينية ولا سيما نصوصها، العهدين القديم والجديد. وقد تجلى هذا في الحركة الهيومايزمية في جميع أنحاء المدن الإيطالية في القرن السادس عشر، راسخاً بعمق في المجتمع الإيطالي. وعلاوة على ذلك، ظهر الفن بتأثير العوامل السياسية والدينية المتشابكة. يمكن أن تعزى فكرة الرينيسانس إلى

فرانتشيسكو بيتراك (1304 - 1374) الشاعر الإيطالي الذي يمثل نقطة تحول هامة من خلال زيارته لروما في 1337م (الصورة 1). شعر بيتراك بحزن بالغ بسبب انهيار الحضارة الرومانية. وكانت بقايا هذه الحضارة لا تزال هناك حيث كان الناس يرونها بأعينهم. وهكذا، كانت إمكانية إعادة ربط الناس بها ممكنا في ذهن بيتراك وآخرين.¹ كان حلم إعادة هذا التراث او عودة الحكم الروماني موجودا لدى الناس الأوروبيين،

¹ Margaret McGowan, *The vision of Rome in late Renaissance France*. New Haven: Yale University Press, 2000. pp. 161-162.

منذ اختفاء الإمبراطورية الرومانية، لأن الشعوب الأوروبية حلمت بعودة الإمبراطورية الرومانية لإعادة توحيد أوروبا. تم اختراع هذه الفكرة من قبل الناس الأوروبيين وترسخت في معتقداتهم. كان من المهم للشعب الأوروبي أن تعود الحضارة الرومانية من جديد. وقد خلقَ هذا الحلم والمصالح الخاصة أيضاً (كالتقرب من أصحاب السلطة والمال)، جواً، أغرى العديد من المثقفين مثل بيترارك وفلافيو بيوندو (1388 - 1463) للحديث عن إمكانية إحياء هذا التراث من خلال ربط الناس بالماضي: بالحضارة الرومانية. وكانت هذه نقطة تحول رئيسية في هذا الحلم، لمناقشته ودراسة إمكانيات جعله حقيقة في الواقع.² إذن الحلم تحول الى مفردة يتداولها نفر من الناس في إيطاليا سرعان ما تحول الحلم من مفردة الى أدوات تستمد جذورها من التراث.

أول من استعمل مصطلح الرينيسانس هو جورجيو فاساري (1511-1574) باللغة الإيطالية، ولم يكن هذا المفهوم معهودا لدى الناس، او بتعبير آخر لم يكونوا يعرفون عصرهم بعصر الرينيسانس. كان فاساري (الصورة. 2) واحداً من الهيومانيستيين البارزين في إيطاليا، حيث استعمل كلمة (رينيشيتا أو ريناشيتا: أي الولادة او البعث من جديد) كتعريف لجهود ونتائج ما سبقه من المثقفين المهتمين بدراسة الكلاسيكيات.³ ومع ذلك، فإن ولادة جديدة لم تكن متاحة بشكل متكافئ وبمنهجية واضحة وموحدة، بين



جميع المدن وكذلك بين المفكرين والمثقفين. ولكن الأهم انه تم العثور على قضية رئيسية في عصر الرينيسانس، وهي تطوير شروط الحرية والحدثة والعقل عبر مراحل زمنية طويلة أخذت جهودا كبيرة، لم تكن منضوية تحت تخطيط واتفاق مسبقين نحو هدف أو أهداف معينة. كما أن هذه المفاهيم لم تكن مشاعة، كما نحن نظن اليوم بالنسبة لتلك المراحل. لكنها نمت في أوقات متأخرة في عصر الرينيسانس بأشكالها

² Emanuel Paparella, *A new Europe in search of its soul: essays on the European Union's cultural identity and the transatlantic dialogue*. Bloomington, Ind.: AuthorHouse, 2005. pp. 71-72.

³ Jill Condra, *The Greenwood encyclopedia of clothing through world history*. Westport: Greenwood, 2007. p. 2.

البداية، ومن ثم تطورت في القرون اللاحقة. وعلاوة على ذلك، أصبح في عصر الرينيسانس جوانب أكثر ابتداءً بدلا من العلاقة المجردة مع الماضي الروماني. لكن هذا الأمر حدث بعفوية عبر العمل والخبرة التي تطورت بمرور الأيام كمنطق طبيعي لجوهر الأشياء في حركتها. ويمكن ملاحظة هذا التطور في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.⁴ واستغرق الأمر وقتا طويلا، أي أنه لم يأت بيوم وليلة، بل وإن تلك الشروط تجسدت في مراحل ما بعد الرينيسانس، في عصري التنوير والحدثة.

حدث الرينيسانس في إيطاليا لأسباب. وترتبط هذه الأسباب بطريقة أو كيفية تطور القوة السياسية في إيطاليا في العصور الوسطى.⁵

كما ذكرنا سابقا، ترتبط فكرة الرينيسانس بمفهوم إعادة



توحيد أوروبا تحت حكم واحد وقانون واحد (مثل إمبراطورية روما). وضعت هذه الفكرة على أرض الواقع من قبل شارلمان الإمبراطور الروماني المقدس (حكم بين 768-814)، الذي كان الإمبراطور الأول منذ إنهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية. على الرغم من أن إمبراطورية شارلمان (الصورة 3) لم تدم لفترة طويلة، ولكن إيطاليا أصبحت منذ ذلك الوقت خاضعة للـ "إمبراطورية" الكارولنجية التي بدأت بتتويج

شارلمان (كان نابليون بونابارت يشبه نفسه بشارلمان في ما يخص فكرة توحيد أوروبا التي كانت مركز اهتمام أدولف هتلر أيضا).⁶ وفكرة الوحدة الأوروبية اليوم قائمة على قدم وساق رغم التحديات الكثيرة، لكن

⁴ John Najemy, *Italy in the age of the Renaissance: 1300-1550*. Oxford: Oxford University Press, 2004. pp. 268-269.

⁵ Marvin Perry, *Western civilization: ideas, politics and society*. 9th ed. Boston: Houghton Mifflin, 2009. p. 293.

⁶ Oskar Krejčí and Martin Styan, *Geopolitics of the Central European region: the view from Prague and Bratislava*. Bratislava: VEDA, Pub. House of the Slovak Academy of

الحلم الطويل للأوروبيين لم يتحول يوماً إلى سخرية في أحاديثهم بشأن ذلك، بل وانعكس في الأعمال الأدبية والفنية مثل فيلم (Lord of the Ring) الذي يتحدث عن عودة الملك الذي يوحد أوروبا (مضمون الفيلم). والأهم من ذلك أن فكرة أوروبا موحدة ظلت نقطة رئيسية في جميع مراحل التاريخ الأوروبي على الرغم من إختلاف طبيعة الحكم والسياسات والأنظمة، منذ شارلمان وإلى يومنا الحاضر مروراً بالقرون الوسطى وعصر الرينيسانس ونابليون



بونابارت (الصورة. 4) والثورة الفرنسية، وإلى العصر الحديث وظهور النازية والفاشية، وإلى الوقت الحاضر حيث تسود الديمقراطية بلاد أوروبا.

بدأ القتال من أجل استقلال المدن في وقت لاحق، وللحصول على شرعية الحكم كنقطة تحول مهمة وخطيرة في آن. بدأت الحرب مع الإمبراطورية الكارولنجية، تلك السلالة التي تعتبر مؤسسة لمملكة فرنسا وألمانيا.⁷ في إيطاليا، كانت سلطة الحكومة المدنية في أيدي الأساقفة الكنسيين تحت إمرة الإمبراطور أو الملك الألماني. نسبياً كانت إيطاليا أكثر تمدناً وعمراناً من باقي أوروبا، وكان هناك تحركاً كبيراً من الريف نحو المدن من قبل اللوردات الإقطاعية، من الخلفية الزراعية.⁸ في غمرة اكتظاظ المدن بالوافدين بدأت الصراعات بين الأساقفة واللوردات على السلطة من أجل: من الذي يحكم المدينة. هذا السياق أدى إلى التطور الكبير في السياسة والحكومات، والحكومات البلدية (أعضاء طبقة النبلاء اتحدت بسبب وجود مصالح مشتركة ولم تكن نبالتهم

Sciences, 2005. p. 54, and compare it to: Herbert Butterfield, *Napoleon*. New York: Collier Books, 1962. pp. 70-71.

⁷ Geoffrey Parker, *Sovereign city: the city-state through history*. London: Reaktion, 2004. pp. 104-105, and compare it to: Benno Teschke, *The myth of 1648: class, geopolitics, and the making of modern international relations*. London: Verso, 2003. pp. 147-149.

⁸ Law John. *The lords of Renaissance Italy: the signori, 1250-1500*. London: Historical Association, 1981. pp. 10-11.



عن طريق الوراثة والدم وإنما عن طريق التجارة).⁹
بدأت الشرعية في الظهور في شمال ووسط إيطاليا
بمعزل عن سلطة الملك الألماني (استمرار
الإمبراطورية الرومانية المقدسة).

لذلك، حدثت الحرب بين المملكة الألمانية وحكومات
البلدية الإيطالية (اتحاد لومباردي) في معركة لينانو
(Legnano) في 1176 (الصورة. 5). أسفرت هذه

المعركة في اعتراف الإمبراطورية الرومانية المقدسة بالحكومات الكوميونية (أي حكومات جماعات معينة لها
إهتمامات و مصالح مشتركة: تجار، تجار بحريين والإقطاع). وثمة تطور آخر حدث بعد فترة بين Popolo

(الناس) وطبقة النبلاء على أساس السلطة و الكيفية التي ينبغي أن تعمل بها، وكذلك في ما يخص سن
القوانين أيضا. حكومة بوبولو في نهاية المطاف (التجار البحريين والمصرفيين والتجار الذين لم تكن لديهم
شرعية عن طريق الدم والنسب كما الحال في أوروبا كلها) سادت المدن الإيطالية بشكل غير قانوني (لأن
السلطات لم تكن بيد من لهم الحق في الحكم عن طريق الوراثة الشرعية أي النبلاء).¹⁰

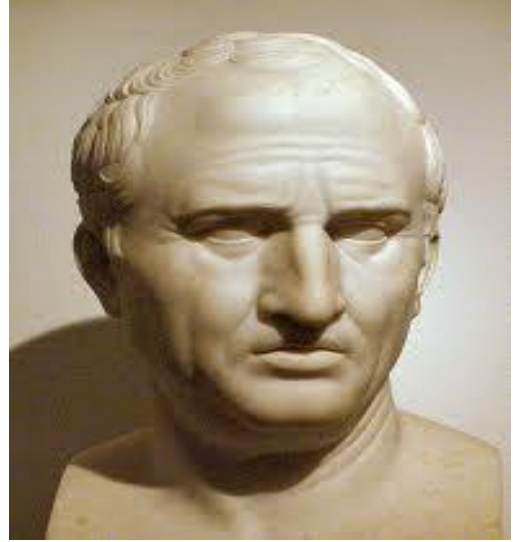
كان الهيومانيزم الثقافة السائدة في عصر الرينيسانس. كان التعبير الأول له. من خلال الهيومانيزم (المترجم
الى الإنسانية في اللغة العربية بشكل خاطئ ومقصود من الترجمة الإنجليزية المصاغة لأوماتيستا: المهتم
بدراسة الكلاسيكيات) سعت الحكومات البلدية الى تحريك الثقة السميكة (Thick Trust) (العلاقة الشخصية
بين نفس الأعضاء من المجموعة الواحدة) إلى الثقة الرقيقة (Thin Trust) (الناس يثقون ببعضهم البعض
لأنه يحكمهم نفس الحكومة والقانون دون المعرفة الشخصية بين بينهم). هذا السعي كان كفاحا نفسياً من اجل
شرعنة السلطة.¹¹ أعطى هذا التركيب الاجتماعي الولادة للهومانيزم في درب تحقيق ذاك الحلم، وإحياء

⁹ Ibid, p. 11.

¹⁰ Ibid, p. 11. And compare it to: Peter Burke. *Culture and society in Renaissance Italy, 1420-1540*. London: Batsford, 1972. p. 235.

¹¹ James Hankins, *Renaissance civic humanism: reappraisals and reflections*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000. p. 18.

تراث العصور القديمة الكلاسيكية لاسيما الرومانية.¹² الهيومانيزم مصطلح أطلق من قبل المؤرخين المتأخرين على الأشخاص الذين سمّوا بالـ (Umanista). الأومانيستا تعني المعلم أو الدارس الذي يدرس الكلاسيكيات الإغريقية و اللاتينية. وتم في ما بعد تحويل الأومانيستا الى هيومانيست الإنجليزية، ليقوم مترجمون عرب بتعريب الهيومانيست جهلا أو زورا بـ "الإنسانية"، أو كترجمة حرفية للمعنى الإنجليزي الذي لا يمت بصلة الى جوهر الأومانيستا بشئ. كانت دراسة أو طرق تدريس الهيومانيزم تقتصر على خمس مواد: النحو والبلاغة والشعر والتاريخ والأخلاق (أو الآداب العامة).¹³ هذه الجوانب انشأت إتصالا بين الهيومانيستين والثقافة الرومانية الكلاسيكية وبالذات شيشرون (Cicero) (الصورة. 6)، خاصة قانونه والتخصصات السياسية التي مارسها في العهد الروماني. في الوقت الذي كانت حكومات المدن تسير، كانت الجامعات الإيطالية مختلفة نوعا ما في دراسة وممارسة المنهج الدراسي. على سبيل المثال، في جامعة بولونيا كانت التقنيات البلاغية تُدرّس لتعليم اسلوب الجدل والحجج.¹⁴



النقطة الرئيسية هنا هي أن الهيومانيستين استخدموا هذه التقنية لتقليد شيشرون (شخص روماني كان قانونيا و سياسيا بارعا كتب في أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية).¹⁵ إثنين من مثقفي إيطاليا الشهيرين من

¹² Ibid, pp. 8, 64, 106, 109 and 113.

¹³ Ibid, p. 244. Compare it to: Carestia Greenfield, *Humanist and scholastic poetics, 1250-1500*. Lewisburg [Pa.: Bucknell University Press, 1981. pp. 19-20.

¹⁴ Ibid, pp. 67, 69 and 187.

¹⁵ Robert Black, *Renaissance thought: a reader*. London: Routledge, 2001. pp. 77-79.

القرن الثالث عشر استخدموا هذه التقنيات. هما لوفاتو لوفاتي (1241 - 1309) والبيرتو موساتي (1261 -

1329). إذن ظهرت ثقافة جديدة للتأثير في القرون القادمة من الهيومانيزمية.¹⁶

في عصر الرينيسانس وفي وقت مبكر، كانت لهذه الثقافة تأثير كبير على الهيومانيستين. وقد تأثر ببترايك بهذا التراث وكان مصدر إلهام للحركة الفكرية في إيطاليا عبر الخطابة وفقه اللغة. وهذه الحركة نمت بسرعة في المدن/ الجمهوريات (ليس بمعنى الجمهوريات المعاصرة اليوم).

وظلت عائلة الميديتشي (الصورة. 7) التي حكمت فلورنسا، صاحبة الحظ الكبير في استنجاز الهيومانيستين والفنانين لصالح حكمهم.

من أهم نتائج حركة الهيومانيزم على مستوى الثقافة هو رفض الهزيمة في النقاش، وكذلك رفض الاعتراف



بنقطة النهاية للجدل والنقاش، ما خلق دوافع جديدة للاكتشافات في الأفكار والحجج. أصبح هذا الأسلوب من التعليم ثقافة، ليست كدراسة في الجامعات فحسب، ولكن أيضا بالنسبة لأطفال النبلاء (من فئة النخبة التي كانت تسيطر على الحكومات البلدية) لتكوين حلقة الوصل في ما يخص إحياء ثقافة العصور القديمة الكلاسيكية.¹⁷ ومن نتائجها، ظهرت أدبيات (كورتية) أو أدبيات الديوان الخاصة بالطبقة الأرستقراطية، لتعليمهم كيفية الممارسة والآداء في الكورتية (الديوان).

ومن هنا، كان لهذه الحركة تأثير كبير في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر في ما يتعلق بقوة

الحكومات. وكانت لها مزية إستكشاف أفكار جديدة وأساليب ومفاهيم أكثر تطورا مثل فلسفة ديكارت التي

¹⁶ Heather Campbell, *The ascent of the West from prehistory through the Renaissance*. New York: Britannica Educational Pub. in association with Rosen Educational Services, 2011. p. 177.

¹⁷ Lee Too Yun and Niall Livingstone, *Pedagogy and power: rhetorics of classical learning*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998. p. 105.

تطورت في المراحل المتأخرة من الهيومانيزم. بالرغم من أن فلسفة ديكرت تكاد تكون إستنساخا لفلسفة الغزالي¹⁸ (وهو بحث نخوض في مستقبله).

تأثير ثقافة الهيومانيزم، يشكل الوجه الأبرز في عصر الرينيسانس. أنتجت هذه الثقافة العديد من فروع الهيومانيزم مثل الهيومانيزم المدني والهيومانيزم المسيحي، وغيرهما كثير.

في نهاية القرن الثالث عشر كانت الحكومات البلدية في أيدي بوبولو وهو ما يعني إختفاء السلالات والنبلاء التقليديين في حكم المدن الإيطالية.¹⁹ ويعني هذا أنها أصبحت جمهوريات (الجمهورية ليست بمفهومها المعاصر ويجب أن ننتبه لهذه النقطة جيدا). مع العلم أن طبقة التجار من العوائل القوية أصبحت بمرور الزمن من العوائل النبيلة (أي بمثابة الارستقراطيات الوراثية) وعلى سبيل المثال عوائل: ستروزي، ميديتشي، باتسي و أخرى غيرها كثير.

هذه العوائل كانت على عداء شديد تجاه بعضها البعض، رغم محاولات عدة أحيانا لتسوية الخلافات والعداوات عن طريق الزواج، وعلى سبيل المثال لا الحصر، زواج جوجيلمو دي باتسي من أخت لورينزو دي ميديتشي، بيانكا. الزواج الذي خلق صلحا بين العائلتين لمدة من الزمن، فقد تأثيره كليا في أعقاب مؤامرة باتسي الشهيرة.²⁰

وكانت أكثر الأزمات الحرجة التي ضربت هذه المدن الجمهورية هي الحرب الأهلية، كانعكاس للصراع الطبقي (ليس بالمفهوم الماركسي) على السلطة، بين الأسر الأقوى من التجار والتجار البحريين والبنكيين (أصحاب البنوك). في هذا التقاطع التاريخي، ظهر الهيومانيستيون ضمن سياق المصالح الخاصة بهم عبر إعطاء المشورة للحكومة حول الكيفية التي ينبغي أن تعمل بها. كان لديهم تراكم ثقافي أهّلهم لمعرفة طرق الدنو من

¹⁸ Mashhad Al-Allaf, *The essence of Islamic philosophy*. St. Louis: M. Al-Allaf, 2003. p. 201 and further.

¹⁹ Samuel Finer, *The history of government from the earliest times*. Oxford: Oxford University Press, 1997. p. 963.

²⁰ Cecilia Mary Ady, *Lorenzo dei Medici and Renaissance Italy*. London: The english univ. press, 1970. pp. 64-65.

هذا النوع من الممارسات حيث وجدوا أنفسهم مهينين، لذلك عرضوا إمكانياتهم على أهل السلطة والمال، وتقربوا منهم بغية الحصول على المال والجاه.²¹

وعلى صعيد آخر، كان الصراع قد اتخذ مكانه بين حكومات البوبولو والأنظمة النبلانية منذ أمد، والتي انتهت بانتصار البوبولو مع نهاية القرن الثالث عشر. وفي هذا السياق، بدأت فكرة الحرية والإستبداد لتكون نقطة النقاش بين الهيومانيستيين ولكن في الفترات المتوسطة والمتأخرة من الرينيسانس. وكان هذا الإتصال الرئيسي مع العصور القديمة الكلاسيكية الماضية بسبب تأثير الحركة الهيومانيستية من قبل، على سبيل المثال، بشيشرون الذي كتب عن سقوط الإمبراطورية الرومانية، لكن الهيومانيزمية ولدت وتطورت ثقافتها داخل أحشائها أيضا. وهكذا، فإن نصوص آلامانو روتشيني مثل "الحرية" تعكس المفاهيم الكلاسيكية للتعامل مع الوضع الحالي (لمواجهة الحكم الطاغوي لعائلة ميديتشي في فلورنسا على سبيل المثال) سواء كان للانتقاد أو لإصلاحه.²² علماً أن روتشيني كان معارضا لحكم آل ميديتشي وبرر في نص "الحرية" مؤامرة باتسي لأنها كانت ضد الظلم والطغيان (راجع إن شنت النص المذكور باللغة الإنجليزية).

أحد الجوانب الرئيسية لعصر الرينيسانس هو الثروة. كانت للثروة مركزية جد مهمة في الحركة الإجتماعية والسياسية. وكان لها تأثير على المؤسسة الدينية أيضا. وكانت وجهات نظر المسيحية في العصور الوسطى حول الثروة ليست إيجابية، لأنه دينياً، حسب تعاليم الكنيسة، ينبغي للإنسان ان يعيش الفقر كما عاش المسيح وأصحابه. كانت الكنيسة تحتفل بالفقر (كفكرة مطروحة للناس). لكن هذا المفهوم تغير بسرعة نحو إعتبار الثروة فضيلة (Virtue)، أي أن الغنى أمر محمود و حسن. مدح فرانتشيسكو بربارو، وهو من الهيومانيستيين البارزين، الثروة، حيث نظر إليها على أنها فضيلة.

²¹ John Najemy, *Italy in the age of the Renaissance: 1300-1550*. p. 10.

²² Robert Black, *Renaissance thought: a reader*. pp. 87, 206 and 211.

ناقش ليوناردو برونو ضد الفقر وهو يعتقد أن الثروة هي الفضيلة. كانت للثروة علاقة بالوضع السياسي والإجتماعي للأفراد والناس والسلطة. واستندت مساهمة الفرد في الحكومة على مقدار الثروة التي يملكها. من ناحية أخرى، كان مصدر الثروة بشكل رئيسي يتشكل من: التجارة، والتجارة البحرية والمصانع، التي كانت تسيطر على معظمها الأسر الغنية والتي كانت تتقاتل في نفس الوقت على السلطة.²³ الثروة والسلطة أدتا إلى خلق الفن، أولاً، لتجسيد المفاهيم الدينية والشخصيات في قالب فني، على سبيل المثال أعمال لورينزو جبرتي في "ذبيحة إسحاق" (الصورة 8). وثانياً، للمنافسة بين أعضاء البلدية في فلورنسا لتزيين أبواب مكاتبهم، للرياء والأبهة والفخر. هذان العاملان كانا الدافع الأهم والأكبر لتشجيع صناعة الفن. وتم تطوير الفن بالتشابه مع الدين والسياسة والتجارة. كما أن العوائل الحاكمة الطاغية وظفت الفن لصالح سلطتها.

ساهم فيليبو برونليسكي ومايكل أنجيلو في تطوير الفن في عصر الرينيسانس في إيطاليا في القرن السادس عشر. كما جسّد فنانون عصر الرينيسانس في الأعمال الكلاسيكية، المفاهيم الدينية والإجتماعية، مثل "هيكل داود" ومفهوم "الفضيلة" المشاع في تلك الفترة، في أعمالهم. وشرع ليوناردو دافينشي نحو التغيير أو التحول



نحو الواقعية وبالتالي فإن الفن ترسخ في صميم المجتمع الرينيسانسي الإيطالي. ولذلك، فإن تغيير الحكومات البلدية، من الحكومات الكوميونية إلى بوبولو (الناس) في ظل حكم العوائل الثرية، وموقف المجتمع نحو مفهوم الثروة وتطوير الفن أيضاً، كان له أثر كبير على جوانب الرينيسانس وتوسعها.²⁴ علينا أن لا ننسى علاقة الفن بتجسيد فكرة مهمة وهي "الفكرة الذكورية" (Masculinity) التي تجسدت في رؤية كل

²³ James Hankins, *Renaissance civic humanism: reappraisals and reflections*. pp. 442-446.

²⁴ Marvin Perry, *Western civilization: ideas, politics and society*. p. 299.

جمهورية الى نفسها على أساس ذكوري كمصدر للقوة والفحولة.²⁵ والأهم من ذلك فإن طبقة الهيومانيستيين والفنانين كانت في خدمة العوائل الحاكمة، نظرا لأنها كانت تقبض أثماناً باهظة في خدمة تلك العوائل ومن أهما ميديتشي.

على أي حال تطور الفن عبر هذا المخاض وخلق أبعادا جديدة أضيفت إلى مسار تطور الرينيسانس.

²⁵ Preston Bautista, *Manifesting masculinities in central Italian Renaissance art: artistic theory and representations of the male body*, UMI, 2008. pp. 1-10.



كان الصراع بين العائلات المتنافسة على السلطة يعد أبرز معلم من معالم الإجتماع والسياسة في عصر الرينيسانس. في فلورنسا أدى الصراع على السلطة إلى عدم الإستقرار ومؤامرات كثيرة ضد الحكام، وضد العوائل التي حكمت فلورنسا مثل عائلة ميديتشي.²⁶ حدثت مؤامرات إغتيال كثيرة مثل مؤامرة باتسي (Pazzi Conspiracy) في عام 1478 ضد رؤوس عائلة الميديتشي الإستبدادية (الأخوين

جوليانو دي ميديتشي و لورينزو دي ميديتشي) من قبل متآمرين من عائلة باتسي (الصورة. 9) التي انتهت

بمقتل جوليانو وجرح لورينزو، مقابل إعدام المتآمرين لاحقاً. وكان

هذا الصراع ليس بمعزل عن تدخل الكنيسة. كانت المؤسسة الدينية،

لا سيما البابوية، جزءاً أساسياً ودائماً من الصراع على السلطة،

لأنها لعبت كل الأدوار الإلهية والمدنية بشكل خطير ومتزايد.²⁷ أثر

الصراع في الكنيسة نفسها، وتوسّع ليشمل تقسيم أعضاء المؤسسة

الدينية الموحدة كما هو الحال مثلاً في قضية جيرولامو سافونارولا

(الصورة رقم 10) (1498-1452) الذي أصبح حاكم فلورنسا،

ولكن في وقت لاحق تم طرده من قبل البابا الكسندر السادس وحكم



²⁶ K. J. P Lowe. *Church and politics in Renaissance Italy: the life and career of Cardinal Francesco Soderini (1453-1524)*. Cambridge [England: Cambridge University Press, 1993. p. 79, and compare it to: Law John. *The lords of Renaissance Italy: the signori, 1250-1500*. p. 11.

²⁷ Jacob Burckhardt, *The Civilization of the Renaissance in Italy*. London: Swan Sonnenschein, 1891. pp. 119-120.



عليه بالإعدام في عام 1498 وتم حرق جثته داخل الساحة الرئيسية في فلورنسا، في عملية إستعادة حكم عائلة ميديتشي بمساعدة البابا. وهكذا، كان الدين عاملا وجزءا من الصراع السياسي من أجل السلطة، فضلا عن الصراع بين العوائل القوية لايجاد النفوذ في السلطة البابوية.²⁸ هذه الحال وكذلك تطور حركة الهيومانيزم، خلقت الأجواء للإصلاح الديني، الذي سمي في ما بعد بالإصلاح

البروتستانتي بقيادة ريزيداريوس أرازموس، مارتن لوتر، هولدرخ زفينجلي و جون كالفن...الخ. لوتر لم

يكن هيومانيسدا لكنه وكالفن تأثرا بالهيومانيزم و تتلمذا

بثقافته. أرازموس (الصورة. 11) عارض لوتر (الصورة.

12) لانه كان يشق الكنيسة، بينما كانت مفاهيم الإصلاح عند

أرازموس تقتصر على تغيير الأفراد وليس الإصلاح الهرمي

من الأعلى.



وقد تأثر الإصلاح الديني بالحركة الهيومانيزية الى حد

كبير. والإصلاحيون الدينيون استخدموا التقنيات الخمس

المذكورة في التعامل مع النصوص الدينية (الإنجيل

والتوراة)، من أجل إصلاح الكنيسة. وفي الوقت الذي تطور الحكم "الجمهوري" في المدن الإيطالية،

وخاصة في فلورنسا، كان للهيومانيسيين تأثير كبير على فصائل المجتمع، بما في ذلك أعضاء من النخبة

والكنيسة. ربما كان الإصلاح الديني من دون هذه الحركة مستحيلا أو ربما كان يأخذ مسارا مختلفا عما

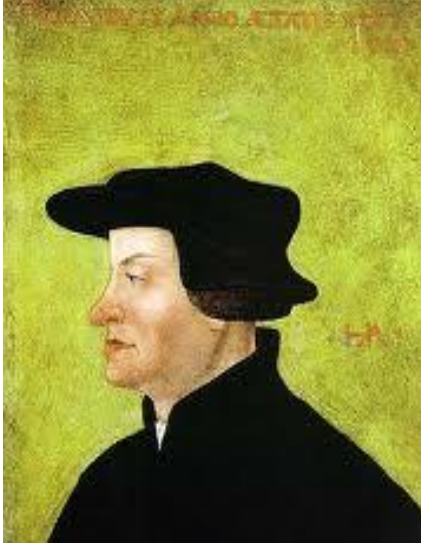
صارت إليه عواقبه. ولكن لا جزم بشأن ذلك.²⁹ بقي الإصلاحيون الدينيون موالين للكنيسة اللاتينية، ولكن

كانوا مقتنعين أنه يجب إصلاح الكنيسة وفق النسخة الأولى للمسيحية (أي العودة الى المسيحية في عصر

²⁸ Niccolò Machiavelli and Wayne Rebhorn, *The prince and other writings*. New York: Barnes & Noble Classics, 2003. P. 27.

²⁹ James Hankins, *Renaissance civic humanism: reappraisals and reflections*. p. 244.

المسيح وأتباعه، والتخلي عن البدع والمحدثات لا سيما صكوك الغفران). وكان هذا انعكاساً لتأثير حركة الهيومانيزم (تراكمها الثقافي) منذ القرن الرابع عشر، وكذلك بنوع ما، إستجابة لإتفاق واسع النطاق في شمال أوروبا مع بداية القرن السادس عشر، حول ضرورة إصلاح الكنيسة. لقد تمت ترجمة الفلسفة الكلاسيكية القديمة تماماً إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية، وبدأ الاستغناء عن الترجمات العربية التي كانت قد هيأت الأرضية للإصلاح الديني المسيحي (على الأخص في ما يتعلق بفلسفة أرسطو وتأثيرها على رجال دين من أمثال توما الأكويني على سبيل المثال)، كما عمل الهيومانيستيون المسيحيون على فلسفة أرسطو مع التقنيات المذكورة لإصلاح المسيحية. كان لـ ريزيداريوس أرازموس تأثير كبير على الإصلاح الديني وأنه أثر في الكثيرين مثل زفينجلي (الصورة. 13).³⁰



كانت الفلسفة والأدب الكلاسيكي متاحين في المدن الأوروبية بشكل واسع في القرن السادس عشر. وصل عصر الرينيسانس نقطة المضي قدماً في تطوير الفلسفة والأفكار السياسية والمفاهيم الاجتماعية. أنتج الرينيسانس في أواخر عهده رينيه ديكارت (1596-1650)، الذي جاء في ذروة نضوج هذه التجربة، والذي طرح فلسفته مذهب الشك لفتح الأفق أمام العصر الحديث. قام ديكارت بتغيير طريق الفلسفة من الكلاسيكية القديمة إلى طريقة حديثة.³¹ ولذلك، قاد حركة الرينيسانس في نهايتها

نحو فترة عصر التنوير (سنناقش تأثير الغزالي في ديكارت واقتباسات هذا الأخير منه، في بحث مستقل).

كان عصر الرينيسانس حلاً لإحياء الكلاسيكيات الرومانية. تشابك إحياء التراث الروماني مع الفن، والسلطة، والسياسة التي ولدت حركة الهيومانيزم. كانت هذه الحركة حركة عشوائية وليست منظمة. لقد غيرت جوهر المجتمعات الأوروبية وخاصة الإيطالية حيث بدأت هناك. الهيومانيزم أدى إلى الإصلاح الديني والفلسفة

³⁰ Ibid, p. 244, and compare it to: Charles Nauret, *Humanism and the culture of Renaissance Europe*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995. p. 150.

³¹ George Parkinson, *Routledge history of philosophy*. Vol. 4: the renaissance and seventeenth-century rationalism. London: Routledge, 1993. pp. 189-194.

الحديث من خلال التقدم في الفلسفة وأفاقها. وشارك الهيومانيستيون في السياسة والسلطة. وجاء هذا التشابك كاستجابة لضرورات عصر الرينيسانس في إيطاليا. حركة الهيومانيزم لم تكن ضد الدين على الإطلاق، والهيومانيستيون لم يكونوا ملحدين أو على خصومة مع الدين. إن حركة الإصلاح الهيومانيزمي هي العودة إلى أصول الحضارة الغربية بشقيها الروماني/ اليوناني والمسيحي في فترات لاحقة من الإصلاحات البروتستانتية. عبر هذه العودة بأدوات معينة أشرنا إليها في ثنايا هذا المقال، قلد الإصلاحيون الدينيون هذه الطريقة للعودة إلى الأصول، فقاموا يقرأون النصوص المقدسة بالأدوات المذكورة، قافزين على أسوار الكنيسة اللاتينية لبناء علاقة مباشرة مع النسخة الأولى للمسيحية.

ولكن ما دور الحضارة الإسلامية في خلق الرينيسانس الأوروبي؟ كيف تطور كل جانب من جوانب الرينيسانس وما هي تفاصيل ذلك؟ نترك هذه المواضيع وأخرى غيرها مهمة لمستقبل قريب.

- Ady Cecilia Mary, *Lorenzo dei Medici and Renaissance Italy*. London: The english univ. press, 1970.
- Al-Allaf Mashhad, *The essence of Islamic philosophy*. St. Louis: M. Al-Allaf, 2003.
- Bautista Preston, *Manifesting masculinities in central Italian Renaissance art: artistic theory and representations of the male body*, UMI, 2008.
- Black Robert, *Renaissance thought: a reader*. London: Routledge, 2001.
- Burke Peter, *Culture and society in Renaissance Italy, 1420-1540*. London: Batsford, 1972.
- Burckhardt Jacob, *The Civilization of the Renaissance in Italy*. London: Swan Sonnenschein, 1891.
- Butterfield Herbert, *Napoleon*. New York: Collier Books, 1962.
- Campbell Heather, *The ascent of the West from prehistory through the Renaissance*. New York: Britannica Educational Pub. in association with Rosen Educational Services, 2011.
- Condra Jill, *The Greenwood encyclopedia of clothing through world history*. Westport: Greenwood, 2007.
- Finer Samuel, *The history of government from the earliest times*. Oxford: Oxford University Press, 1997.
- Greenfield Carestia, *Humanist and scholastic poetics, 1250-1500*. Lewisburg [Pa.: Bucknell University Press, 1981.
- Hankins James, *Renaissance civic humanism: reappraisals and reflections*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000.
- John Law, *The lords of Renaissance Italy: the signori, 1250-1500*. London: Historical Association, 1981.
- Krejčí Oskar and Martin Styan, *Geopolitics of the Central European region: the view from Prague and Bratislava*. Bratislava: VEDA, Pub. House of the Slovak Academy of Sciences, 2005.
- Lowe K. J. P, *Church and politics in Renaissance Italy: the life and career of Cardinal Francesco Soderini (1453-1524)*. Cambridge, England: Cambridge University Press, 1993.

Machiavelli Niccolò and Wayne Rebhorn, *The prince and other writings*. New York: Barnes & Noble Classics, 2003.

McGowan Margaret, *The vision of Rome in late Renaissance France*. New Haven: Yale University Press, 2000.

Najemy John, *Italy in the age of the Renaissance: 1300-1550*. Oxford: Oxford University Press, 2004.

Nauert Charles, *Humanism and the culture of Renaissance Europe*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

Paparella Emanuel, *A new Europe in search of its soul: essays on the European Union's cultural identity and the transatlantic dialogue*. Bloomington, Ind.: AuthorHouse, 2005.

Parker Geoffrey, *Sovereign city: the city-state through history*. London: Reaktion, 2004.

Parkinson George, *Routledge history of philosophy*. Vol. 4: the renaissance and seventeenth-century rationalism. London: Routledge, 1993.

Perry Marvin, *Western civilization: ideas, politics and society*. 9th ed. Boston: Houghton Mifflin, 2009.

Teschke Benno, *The myth of 1648: class, geopolitics, and the making of modern international relations*. London: Verso, 2003.

Too Yun Lee and Niall Livingstone, *Pedagogy and power: rhetorics of classical learning*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.